

المحاضرة الخامسة : التغييرات العروضية

الزحافات والعلل:

تفعيلات الشعر قد لا تؤدي بصورتها الصحيحة، فقد يدخل تغيير في هيئتها أو حروفها: كتسكين متحرك أو حذفه أو حذف الساكن أو زيادته أو حذف أكثر من حرف أو زيادته، وهذا ما يسمى عند علماء العروض بالزحافات والعلل، وهذه التغييرات منها ما هو جائز ومنها ما هو لازم.

وربما يكسب ذلك التغيير المقاطع الصوتية حسنا في الإيقاع لا يتحقق من أداء التفعيلة بصورتها الأصلية، كما أن هذه التغييرات في التفاعيل العشر تمنح الشاعر حرية في التلوين الإيقاعي، بما يتناسب مع موضوعه وحالته النفسية واللغوية، وهذه التغييرات أيضا هي السبب الرئيس في التعدد الفني في أعاريض وأضرب البحور في الشعر العربي، حتى بلغت ثلاثة وستين نوعا أو تزيد، ولا شك أن ذلك فسحة للشعراء وتمكينا لهم من صوغ تجاربهم بالشكل الغني المؤثر.

تعريف الزحاف:

الزحاف لغة: الإسراع ومنه قوله تعالى: **إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفَا** " أي مسرعين إلى قتالكم، وفي (لسان العرب) الزحاف من زحف وزحف إليه يزحف زحفا وزحوبا وزحفانا: مشى، "والزحاف في الشعر: معروف، سمي بذلك لثقله. والزحاف إذا دخل التفعيلة أسرع النطق بها وذلك لنقص حروفها بالحذف أو حركاتها بالتسكين.

الزحاف اصطلاحا: تغيير مختص بثواني الأسباب يدخل العروض والضرب والحشو، إذ حل لم يلزم تكراره في بقية القصيدة، إلا إذا جرى مجرى العلة كقبض الطويل وخبث البسيط.

والزحاف أيضا هو تغيير يلحق ثواني الأسباب الخفيفة والثقيلة؛ لأن الأوتاد لا تتغير، ويكون بتسكين المتحرك أو حذفه، ويقع في أول التفعيلة أو وسطها أو آخرها وفي الأعاريض والضروب أو في غيرها ولكنه لا يلتزم في سائر القصيدة.

والزحاف ينحصر في تسكين المتحرك أو حذفه أو حذف الساكن، وقد تقلل تلك الزحافات والعلل من الرتبة وتكسرهما، حيث تخفف صرامة الوزن (حركية الإيقاع بين الثقل والخفة) وتلونونه بالاعتماد على الإحساس في

المقام الأول، وتعد لدى الدارسين المعاصرين عاملا من عوامل تنوع الوزن في الشعر التقليدي ((1
ويحدث الزحاف انسيابا إيقاعيا يترجم عمق إحساس الشاعر، بحسب " محسن أطميش "الذي ربط الزحاف بالجو النفسي وتغييراته في القصيدة، فالزحاف يزداد في المواقف الانفعالية على حد رأيه؛ لكونها (المواقف) حذف أو تغيير، يؤدي إلى اختصار الزمن فيتفق مع هذه الحالات التي تتطلب السرعة (2)

والزحافات والعلل عبارة عن تغييرات تدخل على أجزاء الميزان الشعري، ويلجأ إليها الشعراء أحيانا للتخفيف من قيود الوزن، ولكنها ليست تسهيلات مطلقة، بل هي مقيدة بقواعد معينة.

أنواع الزحاف: الزحاف نوعان:

الزحاف المفرد البسيط: وهو الذي يصيب التفعيلة مرة واحدة؛ أي هو التغيير الذي يطرأ على سبب

واحد منها فقط، وهو ثمانية أنواع نوضحها في الجدول الآتي:

م	اسم الزحاف	تعريفه	ما يدخله من التفاعيل	صورة التفعيلة بعد دخوله	وزنها بعد دخوله	البحور
1	الإضمّار	تسكين الثاني المتحرك	مُتَّفَاعِلُنْ	مُتَّفَاعِلُنْ	0//0/0/	الكامل
2	الخَبْن	حذف الثاني الساكن	مُسْتَفْعِلُنْ	مُتَّفَعِلُنْ	0//0//	البسيط، الرجز الخفيف، المجتث، المديد، البسيط، المتدارك
			مُسْتَفْعِلُنْ	مُنْفَعِلُنْ	0//0//	
			فَاعِلُنْ	فَاعِلُنْ	0///	
			فَاعِلَاتُنْ	فَاعِلَاتُنْ	0/0///	

الرمل السريع، والمنسرح الكامل	/0/0//	مَعْوَلَاتُ	مَفْعُولَاتُ			
الرجز والبسيط والمقتضب والسريع والمنسرح الوافر	0//0//	مُفَاعِلُنْ	مُتَفَاعِلُنْ	حذف الثاني المتحرك	الْوَقْصُ	3
الوافر	0//0//	مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	حذف الرابع الساكن	الطِّي	4
الوافر	/0//0/	مَفْعَلَاتُ	مَفْعُولَاتُ			
الوافر	0/0/0//	مُفَاعِلْتُنْ	مُفَاعِلْتُنْ	تسكين الخامس المتحرك	العَصْبُ	5
الوافر	0//0//	مُفَاعِلْتُنْ	مُفَاعِلْتُنْ	حذف الخامس المتحرك	العَقْلُ	6
الطويل والهزج والمنقارب والمضارع	/0//	فَعُولُ	فَعُولُنْ	حذف الخامس الساكن	الْقَبْضُ	7
الوافر	0//0//	مَفَاعِلُنْ	مَفَاعِلُنْ			
الرمل والهزج والمضارع والخفيف والمديد والطويل والمجثث	/0//0/	فَاعِلَاتُ	فَاعِلَاتُنْ	حذف السابع الساكن	الْكَفُّ	8
	/0//0/	فَاعِ لَاتُ	فَاعِ لَاتُنْ			
	/0//0//	مَفَاعِلُنْ	مَفَاعِلُنْ			
	//0/0/	مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ			

الزحاف المركب: وذلك عندما يصيب التفعيلة زحافان اثنان أي تغييران وهو أربعة أنواع نوضحها في الجدول الآتي:

م	اسم الزحاف	تعريفه	ما يدخله من التفاعيل	صورة التفعيلة بعد دخوله	وزنها بعد دخوله
1	الْحَبْلُ	حذف الثاني والرابع الساكنين الْحَبْنُ + الطِّي	مُسْتَفْعِلُنْ	مُتَعِلُنْ	0////
2	الْخَزْلُ	تسكين الثاني المتحرك وحذف الرابع الساكن الإِضْمَارُ + الطِّي	مُتَفَاعِلُنْ	مُتَفَعِلُنْ	0//0/
3	الشَّكْلُ	حذف الثاني والسابع الساكنين الْحَبْنُ + الْكَفُّ	فَاعِلَاتُنْ	فَاعِلَاتُ	/0///
4	النَّقْصُ	تسكين الخامس المتحرك وحذف السابع الساكن العَصْبُ + الْكَفُّ	مُفَاعِلْتُنْ	مُفَاعِلْتُ	/0/0//

تعريف العلة :

العلة لغة : المرض والسبب .
وفي الاصطلاح : تغيير يطرأ على الأسباب والأوتاد من العروض أو الضرب ، إذا حلت لزمت ، بمعنى أنها إذا وردت في أول بيت من القصيدة التزمت في جميع أبياتها ، إلا إذا جرت مجرى الزحاف ، كالتشعيب في البحر الخفيف .

أنواعها :

العلل نوعان :

(1) علة بالزيادة : وهي لا تدخل غير الضرب المجزوء ، وتكون بزيادة حرف أو حرفين في آخر التفعيلة ، وهي ثلاث علة يوضحها الجدول الآتي:

م	اسم العلة	تعريفها	ماتدخله من التفاعيل	صورة التفعيلة بعد دخولها	وزنها بعد دخولها	البحور
1	التَّرْفِيلُ	زيادة سبب خفيف على ما آخره وتد مجموع	مُتَّفَاعِلُنْ فَاعِلُنْ	مُتَّفَاعِلُنْ تُنْ فَاعِلُنْ تُنْ	0/0//0/// 0/0//0/	الكامل والمتدارك
2	التَّدْيِيلُ (الإدالة)	زيادة حرف ساكن على ما آخره وتد مجموع	مُتَّفَاعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ	مُتَّفَاعِلُنْ نْ فَاعِلُنْ نْ مُسْتَفْعِلُنْ نْ	00//0/// 00//0/ 00//0/0/	الكامل، المتدارك، والبسيط
3	التَّسْبِيغُ (الإسباع)	زيادة حرف ساكن على ما آخره سبب خفيف	فَاعِلَاتُنْ	فَاعِلَاتُنْ نْ	00/0//0/	الرمل

(1) علة النقص : وهي تدخل العروض والضرب المجزوء والوافي على السواء، وتكون بنقصان حرف أو أكثر من العروض والضرب أو أحدهما ، وأحيانا لا يرد البحر إلا بهذا النقصان كما في البحر الوافر. وعلل النقص تسعة أنواع يوضحها الجدول الآتي :

م	اسم العلة	تعريفها	ماتدخله من التفاعيل	صورة التفعيلة بعد دخولها	وزنها بعد دخولها	البحور
1	الحَذْفُ	ذهاب السبب الخفيف من آخر التفعيلة	فَعُولُنْ مَفَاعِلُنْ فَاعِلَاتُنْ	فَعُوْ مَفَاعِيْ فَاعِلَا	0// 0/0// 0//0/	المتقارب الهزج الطويل الرمل الخفيف المديد
2	القَطْعُ	حذف ساكن الوند المجموع آخر التفعيلة وتسكين ما قبله	فَاعِلُنْ مُتَّفَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ	فَاعِلْ مُتَّفَاعِلْ مُسْتَفْعِلْ	0/0/ 0/0/// 0/0/0/	البسيط الكامل الرجز
3	البُتْرُ	ذهاب السبب الخفيف من آخر التفعيلة ، ثم حذف ساكن الوند المجموع وتسكين ما قبله	فَعُولُنْ فَاعِلَاتُنْ	فَعْ فَاعِلْ	0/ 0/0/	المتقارب المديد
4	القَصْرُ	حذف ساكن السبب الخفيف آخر التفعيلة وتسكين ما قبله	فَعُولُنْ فَاعِلَاتُنْ	فَعُوْلْ فَاعِلَاتْ	00// 00//0/	المتقارب المديد

الرمل مجزوء الخفيف	0/0/0/	مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ		
الوافر	0/0//	مُفَاعِلُنْ	مُفَاعِلُنْ	حذف السبب الخفيف من آخر التفعيلة، مع تسكين الخامس المتحرك الحذف + الْعَصْبُ	5
الكامل	0///	مُتَفَاعِلُنْ	مُتَفَاعِلُنْ	حذف الوند المجموع آخر التفعيلة	6
السرير	0/0/	مَفْعُولَاتُ	مَفْعُولَاتُ	حذف الوند المفروق آخر التفعيلة	7
السرير والمنسرح	0/0/0/	مَفْعُولَاتُ	مَفْعُولَاتُ	حذف السابع المتحرك	8
السرير والمنسرح	00/0/0/	مَفْعُولَاتُ	مَفْعُولَاتُ	إسكان السابع المتحرك	9

الزحافات التي تجري مجرى العلل:

وهو نوع من الوحافات الداخل على تفعيلة العروض والضرب، وقد سمي الزحاف الجاري مجرى العلة؛ لأنه يلتزم في جميع أبيات القصيدة، إذا ما ورد في أول بيت فيها ، وهذه الأنواع هي القبض والخين والعصب والاضمار والطي والخبل.

الخين: فَاعِلَاتُنْ تصبح فَعِلًا بدخول الخين + علة الحذف في عروض البسيط، و مُسْتَفْعِلُنْ في عروض وضرب مخرج البسيط تصير مُتَفَعِلُنْ / فَعُولُنْ، و مُسْتَفْعِلُنْ في عروض مجزوء الخفيف وضربه بمصاحبة القصر تصير مُتَعِلُنْ.

القبض: مَفَاعِلِينُ تصبح مَفَاعِلُنْ في عروض الطويل

العصب: مُفَاعِلَاتُنْ تتحول إلى مُفَاعِلَاتُنْ / مَفَاعِلِينُ

الاضمار: مُتَفَاعِلُنْ في الكامل تصبح مُتَفًا بمصاحبة الحذف وتنتقل إلى فَعِلُنْ

الطي: في عروض وضرب السرير مَفْعُولَاتُ تصير مَفْعَلَاتُ بمصاحبة الكشف تصبح مَفْعَلًا وتنتقل إلى فَاعِلُنْ، و مُسْتَفْعِلُنْ في عروض وضرب المنسرح وعروض وضرب المقتضب تصير مُسْتَفْعِلُنْ وتنتقل مُفْتَعِلُنْ.

الخبل: تصير مَعَلَاتُ في عروض وضرب السرير بمصاحبة الكشف مَعَلًا وتنتقل فَعِلُنْ

العلل التي تجري مجرى الزحافات:

هي نوع من العلل يجري مجرى الزحاف في عدم التزامه ، فإذا عرض للشاعر لم يجب عليه التزامه بل جاز تركه والعود إلى الأصل ، وهذه العلل أربع نوضحها فيما يلي :

- **التشعيب:** وهو حذف أول الوند المجموع ، وذلك عندما يدخل (فَاعِلَاتُنْ) في ضرب الخفيف والمجتث.
- **الحذف:** وهو ذهاب السبب الخفيف من آخر التفعيلة ، وذلك في (فَعُولُنْ) في العروض الأولى من بحر المتقارب، فإذا جاءت العروض الأولى فعو (فَعُولُ محذوفة) ، فيمكن أن لا تلتزم في سائر الأبيات.
- **الخزم:** زيادة حرف أو أكثر في أول صدر البيت ، أو أول عجزه في بعض البحور.
- **الخرم:** هو اسقاط أول الوند المجموع في أول شطر من البيت ، وموقعه التفاعيل الثلاث

المبدوءة بوترد مجموع وهي : فَعُولُنْ ، مُفَاعَلَتُنْ ، مَفَاعِيلُنْ ، وقد يدخلها وحده ، أو يجتمع مع غيره، وله في كل حالة اسم ؛ فأسماءه تختلف حسب التفعيلة ، واختلافها من حيث سلامتها ، وزحافها ونوع هذا الزحاف :

صورة التفعيلة بعد دخوله	ما يسمى به	تركيب الخرم مع غيره	التفعيلة التي يدخلها	
عُولُنْ /0/0	الثَلَمَ	=	الْخَرَمَ	فَعُولُنْ
عُولُ /0/	الثَرَمَ	الْقَبْضُ	الْخَرَمَ	
فَاعِيلُنْ /0/0/0	الْخَرَمَ	=	الْخَرَمَ	مَفَاعِيلُنْ
فَاعِلُنْ /0//0	الشَّتْرَ	الْقَبْضُ	الْخَرَمَ	
فَاعِيلُ /0/0/	الْخَرَبَ	الْكَفَّ	الْخَرَمَ	
فَاعِلَتُنْ /0///0	الْعَضْبَ	=	الْخَرَمَ	مَفَاعِلَتُنْ
فَاعِلَتُنْ /0/0/0	الْقَصَمَ	الْعَضْبُ	الْخَرَمَ	
فَاعِلَتُ /0/0/	الْعَقْصَ	النقص	الْخَرَمَ	
فَاعِلَتُنْ /0//0	الْجَمَمَ	الْعَقْلُ	الْخَرَمَ	

الفرق بين العلة والزحاف:

- الزحاف لا يكون إلا بالنقص ، أما العلة فتكون بالزيادة والنقص .
- الزحاف يختص بثواني الأسباب ، أما العلة فتدخل الأسباب والأوتاد .
- الزحاف يدخل الحشو ، والعروض ، والضرب ، أما العلة فلا تدخل إلا العروض والضرب .
- الزحاف إذا عرض لا يلزم غالباً ، وإذا لزم سُمِّيَ (زحافاً جارياً مجرى العلة) ، أما العلة فإذا عرضت لزم غالباً ، وإذا لم تلزم سُمِّيَتْ (علةً جارية مجرى الزحاف) .